محمد عطية الإبراشي

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

بُنَيَّ العَزِيزَ :

لَقَدْ عَرَفْتَ كَثِيرًا عَنْ أَخْلاقِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ ، وَسَأَذْكُرُ لَكَ هُنا حِكاياتٍ كَثِيرَةً ، تَعْرِفُ مِنْها أَنَّهُ كانَ عادِلًا يُحِبُّ العَدْلَ ، وَيَكْرَهُ الظُّلْمَ ، وَيُعامِلُ القَرِيبَ وَالبَعِيدَ مُعامَلَةً واحِدَةً.

عَدْلُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ :

فِي يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ أَقارِبُهُ مِنْ أَشْرافِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُعَيِّنَهُمْ حُكَّامًا لِبَعْضِ البِلادِ الإِسْلامِيَّةِ . وَقالُوا لَهُ : أَلَسْنا أَقارِبَكَ ؟

فَقالَ لَهُمْ : إِنَّهُ يَسْتَوِي عِنْدِي القَرِيبُ وَالبَعِيدُ . وَإِنِّي أُفَضِّلُ مَنْ أَعْتَقِدُ فِيهِ الخَيْرَ لِلأُمَّةِ ،

وَاليُمْنَ (البَرَكَة) لِلرَّعِيَّةِ .

فَعُمَرُ كانَ مِنْ أَعْدَلِ النَّاسِ ؛ لِأَنَّ الإِنْسانَ مَيَّالٌ بِطَبْعِهِ إِلَى مُساعَدَةِ أَهْلِهِ وَأَقارِبِهِ ، وَلٰكِنَّ عُمَرَ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ ، بَلْ كانَ يُقَدِّمُ الإِنْسانَ لِحُسْنِ عَمَلِهِ ، وَإِنْ كانَ مِنْ غَيْرِ أَقارِبِهِ .

عُمَرُ يُفْتِي بِالْعَدْلِ :

وَذاتَ يَوْمٍ أَرْسَلَ سُلَيْمانُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ وَهُوَ خَلِيفَةٌ ـ فِى طَلَبِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ ، فَحَضَرَ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ هٰذا الرَّجُلَ الجالِسَ خاطَبَهُ بِقَوْلِهِ : نَزَعَ اللّٰهُ لِحْيَتَكَ . وَبِما حَدَثَ مِنْهُ مِنَ الشَّتْمِ . فَسَكَتَ عُمَرُ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ .

فَقالَ لَهُ سُلَيْمانُ : لابُدَّ أَنْ تُفْتِيَنِى فِى شَتْمِ هٰذا الرَّجُلِ لِى .

فَقالَ عُمَرُ : أَرَى أَنْ تَشْتِمَهُ كَما شَتَمَكَ .
فَقالَ سُلَيْمانُ : لِماذَا لا تُفْتِي (تحكم) بِقَتْلِهِ ؟
فَقالَ عُمَرُ : لا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِشَتْمِ أَحَدٍ إِلَّا رَجُلٌ شَتَمَ نَبِيًّا .

حِلْمُهُ وَعَدْلُهُ :

لَمَّا تَوَلَّى عُمَرُ الخِلافَةَ ، خَرَجَ ذاتَ لَيْلَةٍ إِلَى المَسْجِدِ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الحَرَسِ . فَلَمَّا دَخَلَ سَيِّدُنا عُمَرُ المَسْجِدَ مَرَّ فِي الظَّلامِ بِرَجُلٍ نائِمٍ ، فَعَثَرَ بِهِ . فَرَفَعَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، وَقالَ لَهُ : أَمَجْنُونٌ أَنْتَ ؟
فَقالَ عُمَرُ : لَا . فَاغْتاظَ الحارِسُ مِنَ الرَّجُلِ ، لِأَنَّهُ وَبَّخَ الخَلِيفَةَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ .

وَهَمَّ (أرادَ) أنْ يُؤْذِىَ الرَّجُلَ النَّائِمَ ، ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ يُرْضِى أميرَ المُؤْمِنِينَ بِأَذِيَّتِهِ .

فَمَنَعَهُ سَيِّدُنا عُمَرُ ، وَقالَ لَهُ : إِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّهُ سَأَلَنِي : أَمَجْنُونٌ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : لَا .

فَعُمَرُ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ كانَ حَلِيمًا عادِلًا ، يَعْفُو عَمَّنْ يُخْطِئُ بِغَيْرِ قَصْدٍ .

عُمَرُ وَحاكِمُ خُراسَانَ :

وَذاتَ يَوْمٍ كَتَبَ إِلَيْهِ عَامِلُهُ (الحاكِمُ) عَلَى خُراسانَ يَقولُ : إِنَّ أَهْلَ خُراسانَ سَاءَتْ أَخْلاقُهُمْ ، وَلا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا السَّيْفُ وَالسَّوْطُ ، فَإِنْ رَأَى أَميرُ المُؤْمِنِينَ أَنْ يَأْذَنَ (يَسْمَحَ) لِي فِى ذٰلِكَ فَعَلَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : بَلَغَنِي كِتابُكَ (خِطابُكَ)، وَإِنَّكَ تَذكُرُ أَنَّ أَهْلَ خُراسانَ ساءَتْ أَخْلاقُهُمْ، وَأَنَّهُ لايُصْلِحُهُمْ إِلَّا السَّيْفُ وَالسَّوْطُ، فَقَدْ كَذَبْتَ، بَلْ يُصْلِحُهُمُ العَدْلُ وَالحَقُّ .

فَابْسُطْ (أُنْشُرْ) ذٰلِكَ فِيهِمْ وَالسَّلامُ .

فَعُمَرُ كانَ يَعْرِفُ أَحْوالَ رَعِيَّتِهِ، وَيُرْشِدُ حُكّامَهُ إِلَى أَحْسَنِ الطُّرُقِ لِإِصْلاحِهِمْ .

عُمَرُ يَسْأَلُ عَنْ أَهْلِ المَدِينَةِ :

وَفي يَوْمٍ خَرَجَ راكِبًا لِيَعْرِفَ أَخْبارَ البِلادِ، فَقابَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، فَسَأَلَهُ عَنْ حالِها . فَقالَ : إِنَّ الظّالِمَ فِيها مَهْزُومٌ، وَالمَظْلُومَ بِها يَنْصُرُهُ الجَمِيعُ . وَإِنَّ الأَغْنِياءَ كَثِيرُونَ . وَالفُقَراءَ يَأْخُذُونَ حُقُوقَهُمْ مِنَ الأَغْنِياءِ .

فَسُرَّ عُمَرُ بِذٰلِكَ ، وَقالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونَ البِلادُ الإِسْلامِيَّةُ كُلُّها عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ .

عُمَرُ وَالرَّجُلُ الفَقِيرُ :

وَذاتَ يَوْمٍ جاءَهُ رَجُلٌ كَبِيرُ السِّنِّ ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقالَ لَهُ : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، اِشْتَدَّتْ بِيَ الحاجَةُ ، وَانْتَهَتْ بِيَ الفاقَةُ (الفَقْرُ) . وَاللّٰهُ سائِلُكَ عَنْ هٰذا .

فَقالَ لَهُ : ما عِيالُكَ ؟ فَقالَ خَمْسَةٌ : أَنا وَامْرَأَتِي وَثَلاثَةُ أَوْلادٍ .

فَفَرَضَ لَهُ وَلِأَوْلادِهِ إِعانَةً مِنْ بَيْتِ المالِ .

عُمَرُ وَالمَرْأَةُ العِراقِيَّةُ :

وَقَدِمَتْ (جاءَتْ) إِلَى عُمَرَ امْرَأَةٌ مِنَ العِراقِ ،

فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى بَيْتِهِ ، سَأَلَتْ : هَلْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَاجِبٌ ؟

فَقَالُوا : لَا . اُدْخُلِي إِنْ أَحْبَبْتِ . وَكَانَ لِمِثْلِهَا الْحَقُّ فِي أَنْ تَدْخُلَ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ .

فَدَخَلَتِ الْمَرْأَةُ عَلَى زَوْجَتِهِ ، فَوَجَدَتْ فِي يَدِهَا قُطْنًا تَغْزِلُهُ ، فَسَلَّمَتْ وَجَلَسَتْ ، ثُمَّ نَظَرَتْ فَلَمْ تَرَ فِي الْبَيْتِ شَيْئًا غَالِيًا فَقَالَتْ : إِنَّمَا جِئْتُ لِأُعَمِّرَ بَيْتِي مِنْ هٰذَا الْبَيْتِ الْخَرَابِ.

فَقَالَتْ لَهَا فَاطِمَةُ : إِنَّمَا خَرَّبَ هٰذَا الْبَيْتَ تَعْمِيرُ بُيُوتِ أَمْثَالِكِ .

وَحِينَمَا دَخَلَ عُمَرُ الدَّارَ ذَهَبَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَسَأَلَهَا : مَا حَاجَتُكِ ، وَمَاذَا تُرِيدِينَ ؟

فَقَالَتْ : امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، لِي خَمْسُ بَنَاتٍ ، قَدْ رَغِبَ عَنْهُنَّ (تَرَكَهُنَّ) الْأَزْوَاجُ لِفَقْرِهِنَّ .

فَجِئْتُكَ أَرْجُو حُسْنَ نَظَرِكَ لَهُنَّ .

فَأَخَذَ الدَّوَاةَ وَالوَرَقَةَ ، وَكَتَبَ إِلَى حاكِمِ العِراقِ ، فَقالَ : مَا اسْمُ الكَبِيرَةِ مِنْهُنَّ ، فَذَكَرَتْ اسْمَها .

فَفَرَضَ لَها (حَدَّدَ لَها إِعانَةً) ، وَأَمَرَ بِإِعانَةٍ لِلثَّانِيَةِ ، وَالثَّالِثَةِ . وَكانَتِ المَرْأَةُ تَحْمَدُ اللَّهَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ . وَاشْتَدَّ فَرَحُها حِينَما أَمَرَ بِالإِعانَةِ لِلرَّابِعَةِ . فَدَعَتْ لَهُ بِخَيْرٍ ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ .

فَقالَ لَها : كُنَّا نَفْرِضُ لَهُنَّ إِعانَةً حِينَما تَحْمَدِينَ اللَّهَ المُسْتَحِقَّ لِلْحَمْدِ ، فَكَلِّفِي هؤُلاءِ الأَخَواتِ الأَرْبَعَ الإِنْفاقَ عَلَى أُخْتِهِنَّ الخامِسَةِ مِمَّا أَعْطاهُنَّ اللَّهُ .

فَذَهَبَتِ المَرْأَةُ بِالخِطابِ إِلَى العِراقِ .

وَصِيَّتُهُ إِلَى أَوْلادِهِ :

لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفاةُ (المَوْتُ) جَمَعَ أَوْلادَهُ ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى مُلِئَتْ عَيْناهُ بِالدُّمُوعِ . ثُمَّ قالَ : أَفْدِي بِنَفْسِي فِتْيَةً (جَمْعُ فَتًى) تَرَكْتُهُمْ وَلامالَ لَهُمْ . يابَنِيَّ ، إِنِّي خَيَّرْتُ نَفْسِي بَيْنَ أَنْ تَفْتَقِرُوا فِي حَياتِكُمْ ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ أَبُوكُمُ النَّارَ ، فَاخْتَرْتُ الأَوَّلَ .

يابَنِيَّ ، حَفِظَكُمُ اللَّهُ وَرَزَقَكُم ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَمْرَكُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ .

وَكانَ عِنْدَهُ فِي ذٰلِكَ الوَقْتِ (مسلمةُ بْنُ عَبدِ المَلِكِ) خالُ أَولادِهِ فَوَهَبَ لَهُ (أَعْطاهُ) أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ لِيُفَرِّقَها عَلَى أَولادِهِ ، وَقالَ لَهُ : بِنَفْسٍ راضِيَةٍ فَعَلْتُ .

فَقالَ عُمَرُ : فَرِّقْها عَلَى مَنْ أُخِذَتْ مِنْهُ ظُلْمًا .
فَقالَ لَهُ مسلَمةُ : لَقَدْ جَمَعْتَ عَلَيْنا قُلوبًا مُتَفَرِّقَةً ، وَجَعَلْتَ لَنا فى الصَالِحينَ ذِكْرًا حَسَنًا .

وَقَدْ ماتَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَسْمُومًا سَنَةَ ١٠١ هِجْرِيّه .
وَقيلَ إِنَّ السُّمَّ قَدْ دَسَّهُ يَزيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ ، لِيَكُونَ خَلِيفَةً ، بِواسِطَةِ خادِمٍ ، وَضَعَ السُّمَّ فى الماءِ ، وَسَقاهُ لَهُ .

ماتَ وَعُمرُه أَرْبَعونَ سَنَةً :

رَحِمَ اللهُ عُمَرَ رَحْمَةً واسِعَةً بِقَدْرِ ما أَحْسَنَ إِلَى الإِسْلامِ وَالمُسْلِمينَ ، وَاليَتامَى وَالفُقَراءِ وَالمَساكِينِ .